محاضرة في أنثروبولوجيا الاتصال

الأشكال التقليدية للتواصل

تعريف الاتصال التقليدي:

هو شكل من أشكال الاتصال يتم عبر وسائل تقليدية قديمة وهو محدود في نطاقه الجغرافي (المكاني) والزمني يعتمد على وجود تفاعل مباشر أو غير مباشر ويستغرق وقتا أطول لنقل المعلومة مقارنة بالاتصال الحديث.

أشكال الاتصال التقليدي قبل اختراع الكتابة:

منذ بداية الخليقة حاول الإنسان البدائي البحث عن أساليب تمكّنه من التواصل مع غيره حتى تستمر الحياة، وقبل اختراع الكتابة اعتمد البشر على اللغة الشفهية والإيماءات والرموز والرسم والرقص وغيرها من أشكال التواصل

1/ إرسال الإشارات: استعمل الإنسان القديم النار والدخان في إرسالهم للرسائل لاسيما في الحروب

وكانت إشارات الدخان تختلف باختلاف المناسبات بعضها يعبَر عن النصر وبعضها للتحذير في حالات الخطر والبعض الآخر للإعلان عن فرض السيطرة على الأعداء.

2/ دق الطبول: تعتبر الطبول إحدى الطرق لإرسال الإشارات وكانت أصواتها تختلف في الإيقاع وفقا للأحداث (كل صوت له معنى).

3/ اللغة الشفوية: تواصل الإنسان مع غيره من خلال الكلام وجها لوجه ومن خلال الخطب وسرد القصص الواقعية والخيالية.

4/ الرسوم: استعمل الإنسان الرسم على جدران الكهوف لوصف المعارك ورحلات الصيد وغيرها من النشاطات التي كان يمارسها، وقد شكَلت جدران الكهوف مكانا وثَقت فيه الثقافات والأخبار وهناك نقوش اكتشفها الباحثون تعود ل30 ألف سنة.

5/ الحمام الزاجل:استخدم الحمام كوسيلة لنقل المعلومات والأخبار والرسائل الهامَة لا سيما في الحروب وذلك بسبب قدرته على تذكر طريق الذهاب

والإياب ولأنَه يضمن السرعة والسريَة وأوَل من استخدم هذه الطريقة في التواصل هم سكان بغداد.

6/ البريد:المصريون القدامى هم أوَل من استخدم هذه الخدمة للاتصال وكانت الرسائل تكتب على ورق البردي ويوصلها غلام أو صبي للشخص المرسلة إليه، كما استخدمها الرومان في القرن 14 قبل الميلاد.

أشكال الاتصال التقليدي بعد اختراع الكتابة:

عندما ظهرت الكتابة اعتقد البعض أنَ الكلمة المكتوبة هي المعرفة الوحيدة الموثوق فيها لأنها محفوظة (مطبوعة) لكن الأشكال الأخرى للتواصل بقيت مستمرَة بقوَة من خلال الموروث الثقافي وبقيت الأجيال تتواصل من خلالها.

ظهرت الكتابة أوَل مرَة بمنطقة الشرق الأوسط حيث اخترع السومريون في العراق الكتابة الصورية سنة 3500 ق.م وهي عبارة عن نقوش استعملت فيها المسامير والإزميل للنقش على ألواح حجرية وطينية، وفي 3200 ق.م ظهرت الكتابة الهيروغليفية في مصر

وهي تتشابه مع سابقتها في بعض الرموز ، بينما ظهرت الكتابة لدى الصينيين القدامى في 1200 ق.م ولدى سكان الأمريكيتين في 600 ق.م

وفي القرن 12 الميلادي ظهرت الطابعة لأوَل مرَة بالإمبراطورية الصينية وفي منتصف القرن 14 طوَر الألماني (يوهان جوتينبرغ) هذه الآلة وبهذا الاختراع دخلت أوربا عصر النهضة والتطوَر وقامت بترجمة وطباعة أمَهات الكتب العربية والإغريقية، وفتحت الكتابة الباب أمام الصحافة فظهرت المجلات والجرائد والإعلانات وكلَها وسائل تواصل بين الأفراد وإضافة لها ظهرت وسائل أخرى أهمَها:

1/ التلفزيون: في 1884 تحصَل الألماني بول نيبكو على براءة اختراع جهاز لخطوط تحليل الصور، وفي 25 مارس 1925 قدَم المخترع الاسكتلندي جون لوجي بيرد أول عرض عام لمرئيات متحركة على شاشة التلفزيون، وفي 26 أبريل 1935 تم أوَل بث رسمي للتلفزيون من فرنسا.

2/ الراديو: اخترع نيكولا تيسلا أول جهاز راديو لا سلكي عام 1893، وفي 1901 تمكَن الإيطالي غوليلمو

ماركوني من الحصول على براءة اختراع أول جهاز استقبال راديو لا سلكي .

3/ الهاتف: اخترعه أليكسندر غراهام بيل سنة 1875 حيث تمكن من تحويل الكهرباء الى صوت من خلال جهاز استقبال بسيط ليمنح براءة الاختراع في 7 مارس 1876

4/ التلغراف (البرقية): في 1810 اخترع الكهربائي الأمريكي صمويل مورس التلغراف الذي يعيد طباعة الأحرف، وفي 1827 اخترع الألماني شتينهيل خاصية الإرسال عن طريق سلك كهربائي واحد، لكن مورس هو الذي اخترع أول تلغراف يؤدي وظيفته بطريقة قطع التيار عن طريق الرمز المعروف باسم أبجدية مورس. وفي منتصف القرن التاسع عشر تم ارسال رسائل عبر شيفرات يتم فكها وذلك بترميز الحروف بنبضات كهربائية وإرسالها عبر الأسلاك إلى تلغراف آخر يطبع تلك النبضات.

5/ الفاكس: في 1843 اخترع الكسندر باين أوَل آلة فاكس في العالم، ومرَ الجهاز بعدَة مراحل تطوَر آخرها اختراع شركة زيروكس في 1964 لآلة فاكس حديثة،

ويستعمل الفاكس لنقل الوثائق والصور والنصوص بحيث يقوم الجهاز بعمل مسح ضوئي للملفات عبر الأسلاك أو عبر موجات لا سلكية ليتم نقلها إلى جهاز آخر مرفق بطابعة لاستخراج هذه الوثائق.

صفير (غوميرو) شكل من الأشكال التقليدية للاتصال:

لاغوميرا جزيرة من جزر الكناري طولها 22 كلم وعرضها 25 كلم لكنَ تضاريسها وعرة ولا يمكن

الوصول إلى كل الأماكن فيها بسرعة وسهولة فهي تمتاز بالجبال العالية والوديان العميقة، ولهذا السبب طوَر سكان الجزيرة نوعا خاصَا من التواصل يجنَبهم مشقَة التنقَل ويسهَل عليهم تبادل الرسائل فابتكروا لغة الصفير (سيلبو غوميرو أي صفير غوميرو) تعود هذه اللغة إلى ما قبل القرن الخامس عشر فقد أشار إليها المستكشفون من إسبانيا وذكروها في رواياتهم.

صفير غوميرو جزء من الثقافة استطاع من خلاله سكان جزر الكناري التفاعل في ما بينهم والتعبير عن مشاعرهم فقد كان صوت الصفير يصل إلى مسافة 3 كلم عبر بعض الأخاديد وفي ظروف الرياح المواتية ليعلن عن وفاة أو زواج وليحذَر من خطر داهم أو عدو غاشم.

من خلال الصفير كان سكان غوميرو يعبَرون عن حوالي 4000 كلمة اعتمادا على تسلسل ومدَة ونبرة الصافرة.

في 1999 قرَرت الحكومة في جزر الكناري تعليم هذه اللغة للأطفال حتى تحافظ على إرثها الثقافي فأصبح صفير غوميرو مادَة دراسية إلزامية في التعليم

الابتدائي، كما صنَفتها منظمة اليونسكو ضمن التراث الثقافي غير المادي.

الأشكال التقليدية للتواصل عند (راي بيردويستل):

تخصَص (راي بيردويستل) عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي (1994/1918) في دراسة التواصل غير اللفظي وقدَم مساهمات كبيرة في فهم الكيفية التي يلعب بها الجسد والحركات دورا مهما وحاسما في عملية الاتصال بين البشر واشتهر بتطويره لعلم الكينيزيكس وهو دراسة الحركة الجسدية وتفسيرها كوسيلة للتواصل.

1/ الكينيزيكس: أو علم الحركة الجسدية وهو يركز على دراسة الإشارات والحركات الجسدية كجزء من عملية الاتصال فلكل حركة جسدية معنى معينا وحركات الجسم ليست عشوائية بل تعكس رسائل

وتعبيرات اجتماعية وثقافية محددة واقترح (بيردويستل) وضعية جسدية.50 kinémes كينام

2/ الحركة كتواصل منظم: اقترح (بيردويستل) أنَ الحركات الجسدية يمكن تحليلها بنفس طريقة دراسة اللغة فالحركات يمكن أن تكون لها بنية لغوية محدَدة أي أنَها تتكوَن من الإشارات والحركات التي تنظم بطريقة مشابهة للَغة.

3/ التأثير الثقافي على الحركات: رأى (بيردويستل) أنَ الحركات الجسدية تختلف من ثقافة لأخرى وأنَ كل ثقافة تطوَر أنماطا فريدة للتواصل غير اللفظي بحيث يصبح الأفراد قادرين على قراءة حركات بعضهم البعض في سياق ثقافي مشترك وقد ساهم هذا في فهم كيف تكون الحركات الجسدية وسيلة لنقل القيم الثقافية والتوقعات الاجتماعية .

4/التواصل غير اللفظي كعامل تواصل مستقل: توصَل (بيردويستل) لنتيجة مفادها أنَ التواصل غير اللفظي له تأثير كبير على فهم الرسائل بين الأفراد وأنَ هذا النوع من التواصل يكون في كثير من الأحيان أكثر أهمية من الكلمات نفسها.

باختصار ساهم (راي بيردويستل) في تعميق الفهم حول كيفية استخدام الناس لحركاتهم وتعبيراتهم الجسدية كوسيلة للتواصل وكيف أنَ هذه الحركات يمكن أن تعكس مكونات ثقافية واجتماعية معقدة.

تجربة الهاتف الذي لا يرن:

الهاتف الذي لا يرن هو رسالة فعَالة (بيردويستل 1974) في النسق الثقافي الأمريكي يتوقَع كل طالب جامعي أن يرن هاتفه مساء الجمعة على أقصى تقدير ،وإذا لم يرنَ الهاتف فهذه رسالة محتواها "لا أحد يحبني" ففي الأوساط الجامعية يوجَه الطلبة دعوات لبعضهم البعض وينتظر كل واحد منهم أن تجاب دعوته، ويعد عدم رنين الهاتف عيبا في هذا النظام الثقافي .

التواصل عند (بيردويستل) لا يقتصر على الرسالة ولا على التبادل أو التفاعل فهو يشمل ايضا النظام الثقافي والسياق الذي يجعل الأحداث (مثل رنين الهاتف) بمثابة قيمة اتصالية في حد ذاتها .

الأشكال التقليدية للتواصل لدى (إدوارد تي هال):

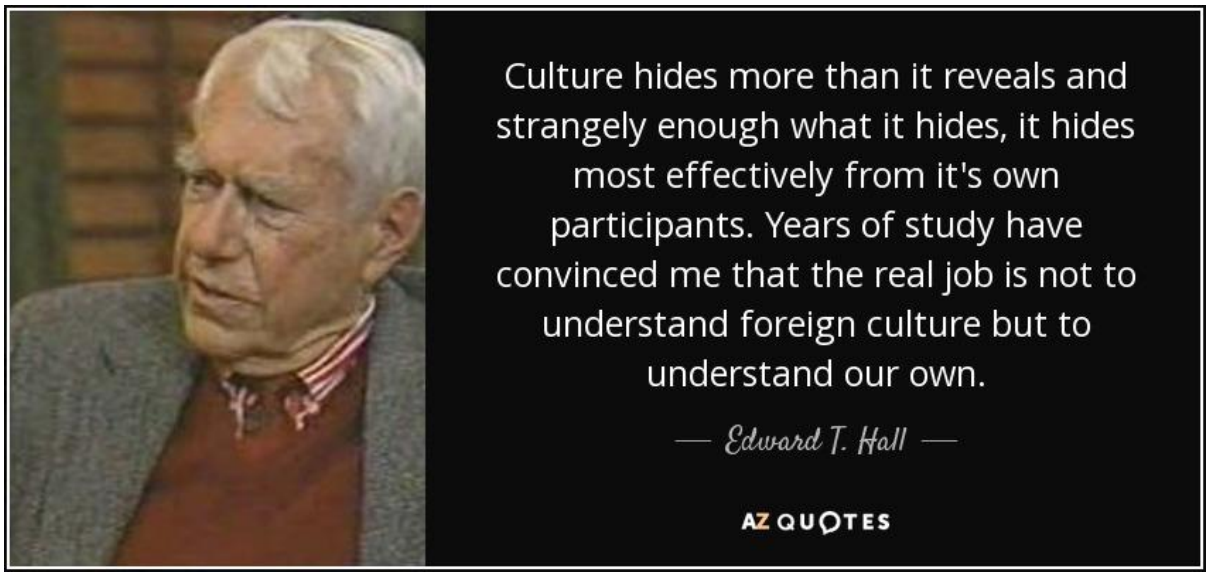

إدوارد تي هال هو عالم أنثروبولوجيا أمريكي يعد من أبرز مؤسسي مفهوم "الاتصال بين الثقافات" وقد قدم مجموعة من المفاهيم الأساسية تعنى بفهم الطريقة التي يتفاعل بها الأفراد من ثقافات مختلفة وأثر الاختلافات الثقافية على التواصل وفهم السلوكيات ومن أهم هذه المفاهيم:

1/ المسافة الشخصية: في كتابه "البعد الخفي" ركَز (هال) على مفهوم "البروكسيميكس" أي دراسة استخدام المساحة والمسافة بين الأشخاص في التفاعل وحدَد عدَة أنواع من المسافات (العامة، الاجتماعية، الشخصية

،الحميمة) وتأثيرها على التواصل موضحا كيف تختلف هذه المسافات من ثقافة لأخرى

2/الزمن وأثره في الاتصال: في كتابه "الرقص مع الزمن" استعرض (هال) مفهوم الزمن الثقافي أو الكرونوميكس حيث قسم الزمن إلى نوعين هما: الزمن أحادي التركيز والزمن متعدد التركيز، وأوضح كيف تؤثَر هذه النظرة المختلفة للوقت على التواصل بين الأفراد من ثقافات مختلفة فالأشخاص من الثقافات أحادية التركيز يميلون للتركيز على مهمة واحدة في الوقت نفسه بينما الثقافات متعددة التركيز تكون أكثر مرونة وتنوعا في التعامل مع الوقت.

3/ التواصل العالي السياق والتواصل المنخفض السياق: قدَم (هال) مفهوم "السياق العالي" و"السياق المنخفض" في التواصل، ففي الثقافات العالية السياق يعتمد التواصل على إشارات غير لفظية وخلفية مشتركة بين الأفراد ويميل إلى أن يكون غير مباشر بينما في الثقافات المنخفظة السياق يكون التواصل مباشرا ويعتمد بشكل أكبر على الكلمات والنصوص.

4/الثقافة كنسق خفي: يرى (هال) أنَ الثقافة ليست فقط ممارسات ظاهرة بل هي شبكة من المعاني والتوقغات التي تنظم سلوك الأفراد بشكل غير مرئي لذا فقد ساعدت مساهماته في فهم كيف يمكن للثقافات المختلفة أن تشكل تصورات الأفراد وأفعالهم بطريقة لا واعية

باختصار قدَم (ادوارد هال) نظرية عملية لفهم كيف تؤثَر الأبعاد الثقافية على الاتصال البشري وساهم في تعزيز الوعي بأهمَية فهم الاختلافات الثقافية لتحقيق تواصل فعال بين الثقافات.